

## ❁ علم الكلام الإسلامي في كتابات المستشرقين: دراسة عينات

### Islamic theology in the writings of Orientalists:

#### A study of samples

كهرأ. د شافية صديق

جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية - خروبة (الجزائر)

c.seddik@univ-alger.dz

تاريخ الإرسال: 2023/11/16 تاريخ القبول: 2023/12/25 تاريخ النشر: 2024/01/30

#### ملخص:

المستشرقون سبقوا الى تحقيق مخطوطاتنا لأسباب أساسها هزائمنا وتقاوعسنا. فعلوا ذلك ضمن مساراتهم لفهم الآخر بعضهم فعل ذلك استجابة لدواعي ذاتية وعلمية وأغلبهم فعل ذلك استجابة لدواعي استراتيجية لها علاقة بالدين والسياسة والاستعمار. أولوياتهم في اختيار ما يحقق وكيف يحقق مرتبطة بكون المتلقين هم أهل الاختصاص عندهم وبعض المهتمين من أبناء جلدتهم. في باب علم الكلام حققوا مخطوطات مهمة ولكنهم أيضا درسوا وقارنوا المحتويات التي حملتها المخطوطات أعملوا مناهج التحقيق والدراسة وكانت مجهولة عند المسلمين قبل استعانة الجامعات الأولى في العالم الاسلامي بالمستشرقين الذين قدموا مع العلم رؤاهم التي حاول بعضهم ترسيخها بين المسلمين باعتبارها يقينيات.

الدارس لورشات الاستشراق وعلم الكلام عليه التريث قبل إطلاق الاحكام في شقها المثلث كما في شقها المدين.

ما هي أهم معالم هذه الورشة؟

الدراسة المقدمة هي فقط بوابة للإجابة التي تتشعب بقدر ما يبذل فيها من جهد واجتهاد.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام، المستشرقين.

### Abstract:

The Orientalists preceded us in our manuscripts

For several reasons, the most important of which is

our defeats and our failure. They did this within their paths to understand the other, some of them, did so in response to self -definitive reasons, most of them did this in response to strategic reasons related to religion, politics and colonialism.

Their priorities are to choose what is achieved and how it is achieved related to the fact that the recipients are their specialists and some of those interested in people of their own race.

In the section of theology, they achieved important manuscripts, but they also studied and compared the contents carried by the manuscripts. They worked the curricula of investigation and study and were unknown to Muslims before the use of the first universities in the Islamic world of the orientalist who presented with knowledge of their visions, some of them tried to consolidate among Muslims as certainty.

The learner for Orientalism and theology workshops must wait before the rulings are launched in its apparent slit, as in its debtor part.

What are the most important features of this workshop?

The study presented is only a gateway to the answer that is branched as much as it is made of effort and diligence.

**Keywords:** Islamic speech, Orientalists.

### مقدمة:

من المفارقات في الدراسات حول علم الكلام الإسلامي توغل بعض المستشرقين في جزئيات دقيقة من مفاصل تاريخ علم الكلام الإسلامي قد يتفادها بعض الباحثين المسلمين بحثا عن الأمان الاجتماعي والوداعة العلمية، فتوارى الكثيرون وراء الروح التقريرية واللغة التبجيلية، وتقديم مخرجات علم الكلام كسقف للمعرفة لا يملك الباحث إلا تقريضها وشرحها وإن كان الشرح في العادة هو قراءة مبطنة مختلفة عن الأصل.

المقاربات الغربية المبينة على مناهج نشأت في بيئات ليبرالية أو ماركسية، بحثت هذه المقاربات عن ربط علم الكلام بالمجتمع الواقعي، وهذه المقاربات تجد صداها في ما يتم تداوله من أن علم الكلام هو علم نخبوي في اهتماماته، وفي متلقيه ألم يصدر أبو حامد الغزالي كتابا بعنوان صريح: إلجام العوام عن علم الكلام.؟

لا يعني ما تقدم أن المسلمين آثروا الاجترار، بل يعني أن المستشرقين كانوا أكثر إقداما على مسالك تشريح وتبيئة مخرجات علم الكلام الإسلامي بأدواتهم، ولكن أيضا بخلفياتهم ومصادراتهم وأهدافهم المتباينة.

ماذا و كيف فعل المستشرقون بمخطوطات علم الكلام الإسلامي جمعا وتحقيقا ودراسة وترجمة ؟

هذا سؤال مركزي لارتباطه بأمننا العقدي والروحي وبخصوصياتنا العلمية والمنهجية، فعلم الكلام الإسلامي مرتبط بمنظومة عقدية مركزها القرآن الكريم، الذي يملك من الأسرار ما يحتاج الاقتراب منها إلى ما هو أكثر من معرفة اللغة العربية ومعاجم المذاهب الإسلامية والمدونات الكبرى والفرعية لعلم الكلام الإسلامي.

علم الكلام هو جهد المسلم تفكيريا في أسئلته الإنسانية ومحاولة الإجابة عنها بالقراءة المستقيمة لمقاصد الخطاب القرآني روحا وعقلا وسيختلف المسلمون دائما في النسب التي يعطيها كل واحد للروح أو العقل تبعا لخصائص فردية وبيئة ومزاج وقدرات ومواهب.

المستشرقون رأوا في علم الكلام مجالا يدرسون من خلاله تجارب الإنسان المسلم الدينية المركزية، وهي تجارب في المطلق موجودة في كل البيئات عبر الأزمنة لارتباطها بالفطرة التي أودعها الله في الإنسان: تجارب البحث عن أجوبة أسئلة الوجود والمال.

لم يكتف المستشرقون بالبحث عن التراث الكلامي، وتصنيفه وفهرسته وترجمته ونشره بانتقائية عموما بل أعملوا فيه آليات منهجية انتقائية أيضا وقرأوه بخلفيات يميل أغلبها إلى تجريده من أصلاته.

## معالم كبرى في الرصد:

من خلال قراءة ما كتبه وما يكتبه المستشرقون، اتضح أنهم يميلون إلى ربط دراسة علم الكلام بالأحداث التاريخية، والسبب الرئيسي لذلك أنهم لا يؤمنون أصلا بالمصدر الإلهي للإسلام ويعتبرون الإسلام صناعة بشرية كانت نتيجة التفاعل مع الواقع وأيضاً الأخذ عن التراث الديني السابق للإسلام.

أما المسلمون فكانت أغلب كتاباتهم من داخل المنظومة الكلامية تحيزاً لفريق أو تبنياً لمنهج الكتابة التقريرية، وما زال إلى اليوم الإشكال العويص عن مؤلفي كتب الفرق هل كانوا موضوعيين في عرض أفكار خصومهم المذهبيين، بل الإشكال أخذ أبعاداً أخطر مع غياب أصول مصادر بعض المذاهب والاعتماد فقط على ما كتبه الخصوم.

## لماذا دراسة آراء المستشرقين ؟

مرّ موقف المسلمين من كتابات المستشرقين بمراحل ارتبطت بالحالة العامة لدى المسلمين وبالصرع المتعدد الأوجه مع الغرب الذي كان يحدد نوع وأسلحة المواجهات من مركز قوة:

الموقف الأول: الرفض كتحصين آلي ضدّ كلّ ما يأتي من العدوّ الديني والوطني .

الموقف الثاني: القبول والانبهار ممّن تشوّهت فطرته وحاد عقله عن التفكير السليم، فمثلاً هناك من خان وطنه هناك أيضاً من خان دينه. الخيانة الأولى كانت أحياناً بتأويل مصلحي لفكرتي أولي الأمر والقضاء والقدر اللتين ركّزا عليهما المستشرقون وخصوصاً من كان منهم مستشارين للحكومات الاستعمارية، والفكرتان من مباحث العقيدة وعلم الكلام، والخيانة الثانية كانت آلياً حاملة في عمقها خيانة الوطن .

الموقف الثالث: كان موقف مستوحى من الآية 8 من سورة المائدة: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۖ اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾

هذا الموقف نضج مع احتكاك علماء المسلمين في أوائل حياتهم العلمية بالمستشرقين، سواء كأساتذة لهم في الجامعات الإسلامية أو أساتذة ومشرفين لهم في الجامعات الغربية، حيث ذهب أولئك العلماء طلبة واستطاع هؤلاء العلماء بالتَّجربة والمراقبة فصل ما هو علمي ومنهجي أقرب إلى ضفاف الحياد عند المستشرقين عمّا هو آراء مبنية على خلفياتهم الدّينية والأيدولوجية والبيئية.

يمكن إذن استنتاج أن:

1. الاستشراق ليس اتجاها واحدا، والذي يركّز عليه المسلمون هو الاستشراق العلمي الذي يعني: دراسة غير المسلم للتراث الإسلامي من منظور غير مسلم، وبمناهج قد يتفق مع آلياتها المسلم دون التسليم المطلق لمخرجاتها، لأنّ المستشرق لو آمن بأنّ الإسلام من الله، وأنّ محمدا عليه الصّلاة والسّلام نبيّ هذا الدين أصبح مسلما وخرج من زمرة المستشرقين.
2. المسلمون اليوم يضعون إحصائيات قريبة من الدقّة حول إسهامات المستشرقين في: رصد وجمع وفهرسة وتحقيق ودراسة وترجمة التراث الإسلامي بما فيه علم الكلام.
3. المسلمون أيضا يدرسون اجتهادات المستشرقين بتوازن أكثر من الفترات السابقة ممّا يسمح بثمين المفيد من تراثهم، ونقد المتهافت، والتّوقّف عندما يتعلّق الأمر بيقين المسلم غير الملزم للمستشرق.
4. من مباحث علم الكلام الرّد على شبهات أهل الملل الأخرى والملحدين والدّود عن الثّوابت إزاء حروب منظمّة ضدّ الإسلام والمسلمين بما يمكن تسميته: حروب اليقين، وهذا قديما وحديثا. والاستشراق بكل أصنافه كان يخدم هذا الاتجاه العدواني بإرادة المستشرق نفسه أو بتوظيف إنتاجه لخدمة الحرب على الإسلام.

## مكانة علم الكلام في كتابات المستشرقين:

إذا أراد باحث مسلم الانطلاق من قاعدة صلبة في تتبّع البنيات الاستشراقية في دراسة علم الكلام الإسلامي، فتلك القاعدة هي: ما موقع علم الكلام في تراث المستشرقين ومناهج مقارباتهم لمختلف محاور الفكر الإسلامي علم الكلام نموذجاً. أي أنّ الباحث لا يجب أن يفصل علم الكلام الإسلامي عن حزمة العلوم الإسلامية من جهة، كما عليه تبيان بدقّة شديدة مباحث استقلال علم الكلام الإسلامي. وفي درجة أعمق تتبّع: خرائط التفكير العقدي العابر للأديان من تضاريس تفاعل النص والعقل.

مع التسليم بناء على قراءات لتراث الاستشراق وردود المسلمين، امتدت على أكثر من عشرين سنة أهم ثمارها فتح تخصص دكتوراه تحت عنوان: التراث الإسلامي والاستشراق، وكما يبدو واضحاً التخصص جاء لخدمة التراث الإسلامي أولاً، ومتابعة تراث المستشرقين بالدراسة والتحليل والنقد بوجهيه: التثمين الإيجابي وتبيان الأخطاء والمغالطات خصوصاً وأننا اليوم نشهد تحيين لوسائل عمل المستشرقين جمعاً للمادّة وتوزيعها، فالدراسات الميدانية حول المسلمين تشهد اتّساعاً واضحاً بما يعني ذلك دراسة متقربة للإنسان المسلم وتوزيع ذلك عبر مخرجات ما يسمى الاستشراق الجديد والاستشراق الإعلامي، بالإضافة إلى ما صنّف تحت مسمى أنثروبولوجيا الإسلام وعلم اجتماع الإسلام وهما يختلفان هويّة ومنهجاً عن الأنثروبولوجيا الإسلامية وعلم الاجتماع الإسلامي .

والمسلمون يتأكّدون أنّ المعركة الفكرية مع الاستشراق، أي الآخر المتربّص بسوء نيّة أو بشراسة الحفر العلمي، ممتدة امتداد حياة الدّين بين المسلمين.

## المفاتيح الأساسية:

الاستشراق مصطلح يجتهد البعض في تعريفه انطلاقاً من الحمولة اللغوية، رغم أنه ترجمة لمصطلح نشأ في بيئة خاصة وانتقل عبر الفضاءات الأكاديمية والإعلامية، محملاً أيضاً بالأيديولوجية والتعصب.

ولتفادي إعادة نقل ما تمّ تداوله كثمرات لهذا التنوّع الذي يقارب التخبّط أحياناً، يتمّ اختيار تعريف إجرائي باقتصاد الكلمات وتفادي التّشّتت:

التعريف الاجرائي جاء بعد مسح للكثير مما وجد في الكتب والدراسات العلميّة.

الاستشراق هو: اهتمام الغرب سياسيين ورجال دين وعلماء بالعالم الإسلامي جغرافية، وتاريخاً، وحضارة ماديّة وغير ماديّة، ضمن دراسات تبنت مناهج مختلفة بدرجات متفاوتة من الحياد والموضوعية، والسياسي ورجل الدين قد يقدّمان أعمالاً علميّة، وقد يكتفيان بالتأطير والتمويل.

أما تعريف علم الكلام فهو أيضاً متنوّع ومتفرّع، لذلك سيتمّ تبني تعريفاً إجرائياً هو ما وضعه ابن خلدون في مقدّمته مستفيداً من المعاجم العربيّة، وكتب علم الكلام وتاريخه، لنسج التعريف التّالي:

" هو علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقليّة، والرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السّنّة. وسرّ هذه العقائد الإيمانيّة هو التّوحيد ". (ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (1988)، مقدمة ابن خلدون، ط2، دار الفكر: بيروت، ص.580).

## المصطلح والعنوان في كتابات المستشرقين:

لا يمكن حصر كل الأسماء التي أُعطيت لعلم الكلام، ولكن تذكر هنا نماذج، مع العلم أنّ بعض كتب المستشرقين ليس فيها حرفا بالّلغة العربيّة، يعني أنّ المصطلحات المفتاحيّة تكتب بترجمة حرفيّة مع مقابلها في الفضاء اليهودي- المسيحي الغربيّ: اللاّهوت نموذجاً.

1. الترجمة الأولى: 'ilm al-kalām (kalām

2. الترجمة الثانية: 'ilm uṣūl ad-dīn

3. الترجمة الثالثة:

Science des bases de la religion (ou par al-fīkh al-akbar, qui s'oppose à al-fīkh al-aṣḡār, la jurisprudence musulmane mineure)

4. ولتبيئة المصطلح الإسلامي في المناخ الدّيني الغربيّ تمّ توصيفه أيضاً:

La théologie scolastique

ومصطلح السكولاستيكية أو المدرسيّة تجرّبة فكريّة دينيّة في الغرب، ارتبطت بتحكّم الكنيسة في العلوم، وهو أمر غير موجود عند المسلمين، فكيف يسقط هذا المصطلح على تجرّبة فكريّة مختلفة تماماً. والغالب أنّ الهدف العام كان وضع علم الكلام الإسلاميّ في سياق تاريخ الفكر الدّيني للقرون الوسطى الأوروبيّة لتبرير ربطه لاحقاً بالتأثيرات السّابقة للإسلام ثمّ المعاصرة له.

5. القواميس الغربية تحاول ابداء توضيحات توهم بالموضوعية والتجرد.

## مؤشر العمل الإحصائي الكمي والنوعي:

يقول عبد العظيم محمود الدّيب: " ربّما كان المدخل الصّحيح لتقييم عمل المستشرقين ودورهم في مجال تراثنا هو الإجابة عن هذه الأسئلة:

1. كم كان حجم تراثنا؟ بمعنى كم كان يقدر عدد الكتب التي تصلنا، لو لم يقدر له أنّ يلتقى ما لقي، من تحريق وتغريق، وسطو وابتزاز، وإهمال وتهاون؟

2. ثم كم بقي لنا بعد ذلك كله؟
3. ثم كم منه في أيدينا الآن؟
4. وكم في أيدي المستشرقين؟
5. وماذا صنعنا بما في أيدينا؟
6. وماذا صنع المستشرقون بما في أيديهم؟
7. وكمن حقق ونشر منه؟
8. وكمن حققنا؟ (عبد العظيم محمود الديب المستشرقون والتراث دار الوفاء المنصورة مصر 1992 ط3 ص5).

ذكر أحد الباحثين أنّ عمليّة إحصائية جزئية حول علم الكلام كانت من إنجاز المجلة التي تصدرها الجمعية الدولية لدراسة الفلسفة الوسيطة، SIEPM العدد 15 لسنة 1972، من ص. 191 إلى ص. 209، وأضيف ملحق لهذه القائمة، في العدد المشترك لعامي 1974-1975، وهو العدد 15 من ص. 189 إلى ص. 195. (Bulletin de philosophie medievale. Edité par la société internationale pour l'étude de la philosophie medievale. ( s.i.e.p.m ). Louvin-Belgique. ).

حاول إبراهيم النملة من جهته رسم معالم كمية إحصائية لجهود المستشرقين في التعامل مع التراث الإسلامي: كتابة عنه دراسة وتحقيقا، ونشرا وتبويبا وتصنيفا وتكشيفا، حيث وصلت مؤلفاتهم في فترة مائة وخمسين سنة (1800-1950) إلى ما يربو على ستين ألفا بين كتاب ومقالة في الفلسفة والتاريخ والتصوّف وتاريخ الأدب واللغة العربية.

كما ينبّه إلى ملاحظتين مركبتين وهما: الحاجة الماسة إلى إحصاء دقيق لذلك، خصوصا في القرنين التاسع عشر والعشرين أولا وأنّ الأمر أسهل بكثير من إحصاء الناتج الفكري في الفترة السابقة ثانيا. (الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، عليّ بن إبراهيم الحمد النملة، مكتبة التوبة، الرياض، 1998/1418، ط1، ص. 83).

يضاف إلى هذا إصدار أكثر من خمسمائة (500) دورية ذات علاقة بالاستشراق وواصدار أكثر من ثلاثمائة (300) دورية متخصصة به. (الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر الاستشراق و المستشرقين ومصدريتهم، علي بن ابراهيم الحمد النملة، مكتبة التوبة، الرياض، 1998/1418، ط.1، ص.84)

يحاول عبد العظيم الديب من خلال تحليل عيّات اختيارية من انتاج المستشرقين، الوصول إلى مؤشرات أوليّة حول اتجاهاتهم الفكرية، واختياراتهم لمجالات بحثهم، محدداً مجال تتبّعه بالمخطوطات والكتب من خلال ما أثبتته لهم صلاح الدين المنجد وعبد الجبار عبد الرحمان، وحيث كان نصيب المستشرقين في معجم صلاح الدين المنجد ثلاثة وتسعين (93) كتاباً فقد جاءت على النحو التالي:

### الجدول الأول: الاتجاهات الفكرية في المخطوطات المنشورة في معجم صلاح الدين

المنجد (عبد العظيم محمود الديب المستشرقون والتراث دار الوفاء المنصورة مصر 1992 ط3 ص15 )

| النسبة | عدد الكتب | الفن                          |
|--------|-----------|-------------------------------|
| 42%    | 40        | التصوف و الفلسفة و علم الكلام |
| 30%    | 28        | التاريخ و التراجم             |
| 3.4%   | 4         | الجغرافيا و الرحلات           |
| 3.4%   | 4         | الفقه                         |
| 3.2%   | 3         | اللغة و النحو                 |
| 3.2%   | 3         | الأدب                         |
| 3.2%   | 3         | الشعر و الطرائف               |
| 3.2%   | 3         | البلاغة                       |
| 3.2%   | 3         | العلوم                        |
| 2.1%   | 2         | التفسير                       |
| 99.7%  | 93        | المجموع                       |

**الجدول الثاني:** خاص بنصيب المستشرقين من المخطوطات المنشورة من العينة المأخوذة من كتاب ذخائر العرب لعبد الجبار عبد الرحمان وكان العدد اثنين وثلاثين (32) عنوانا جاءت موزعة كالتالي: (عبد العظيم محمود الديب، المستشرقون والتراث، دار الوفاء، المنصورة - مصر، 1992م، ط.3، ص. 16 )

| النسبة | عدد الكتب | الفن             |
|--------|-----------|------------------|
| 21%    | 7         | التاريخ          |
| 12.5%  | 4         | التصوف و الاخلاق |
| 9%     | 3         | التراجم          |
| 9%     | 3         | الشعر            |
| 9%     | 3         | اللغة و النحو    |
| 6%     | 2         | الديانات         |
| 6%     | 2         | العقيدة والكلام  |
| 6%     | 2         | الأدب            |
| 3%     | 1         | السيرة           |
| 3%     | 1         | التفسير          |
| 3%     | 1         | الحديث           |
| 98%    | 32        | المجموع          |

### الملاحظات الأولى على الجدولين:

1. العمل الإحصائي الذي قام به عبد العظيم الديب هذا يبقى نسبياً، والمسلمون بحاجة إلى عمل إحصائي شامل ودقيق، يليه عمل نقدي موضوعي، وأيضا شامل ودقيق. (التحليل الكيفي).
2. التوزيع الموضوعاتي مؤشّر لسلم اهتمامات المستشرقين بمختلف محاور التراث الإسلامي، لكن ترابط المحاور في انتاج المسلمين موجود لخصوصية الإسلام ديناً وفكراً.

ففي التفسير نجد فقها وعلم عقيدة، بل أنّ التّفسير تصنّف وفق الخلفيّة العلميّة أو المذهبيّة للمفسّر: مثال: التّفسير الفقهيّ أو الصّوفيّ أو المعتزليّ أو الأشعريّ.

3. في الجدولين اختلاف في ترتيب علم الكلام ويمكن القول أنّ هذا مرتبط بالملاحظة السّابقة من تداخل المحاور في التّفكير الإسلامي، وهذا ما أكّده العمل لتحضير هذه الدّراسة، حيث تبينّ واضحا خطأ الاعتماد على كتابات المستشرقين التي صنّفت تحت عنوان علم الكلام، ومثال على ذلك كتاب مذاهب التّفسير الإسلامي لجولديسهر، حيث نجد فيه مباحث من صميم مواضيع علم الكلام الكبرى.

عينات عن أسبقية تحقيقات المستشرقين لتراث علم الكلام الإسلامي:

من نماذج تحقيقات المستشرقين ما يتناقله الدارسون:

1. ما حقّقه آرثر بيرم Arthur BIRAM كتاب المسائل في الخلاف بين البصريّين والبغداديّين في الكلام في الجوهر "الذي أملاه النيسابوري حقّقه ونشره آرثر بيرم Arthur BIRAM سنة 1902م.

2. ما حقّقه الرّاهب الأمريكي الكاثوليكي والدكتور في الفلسفة الذي حقّق ونشر: ماكارثي Revd Dr. R.J. McCarthy

1.2 رسالة في استحسان الخوض في الكلام لأبي الحسن الأشعري حقّقها ونشرها في حيدر آباد في الهند سنة 1915م.

2.2 كتاب التّمهيد في الرّد على الملاحدة المعطّلة والرافضة والخوارج والمعتزلة للباقلاني - عالم الكلام الأشعري - .

3.2. تحقيق كتاب اللمع لأبي الحسن الأشعري تحقيق ونشر وترجمة الى الانجليزية.

## الاستشراق وعلم الكلام: تحيز القراءة

هناك عدّة مداخل لتناول هذا المحور، وتمّ اختيار المدخل الأكثر حياداً؛ مدخل حصر أهمّ أفكارهم لتحليلها ليظهر خلل المنهج واضحاً، أمّا من دلّس وحرّف التّراث الإسلاميّ باعتماد نصوص غير معترف بها في الفضاء الإسلاميّ أو حلّل بقراءة مغرضة، فمن يفعل هذا يلفظه العلم وتبرّأ منه المنهجية ولا داعي للتّوقف عند افتراءاته.

من المداخل:

1. الاهتمام بعلم الكلام عند المستشرقين كان ضمن اهتمامهم العام بالتّراث الإسلاميّ المكتوب ولم يكن دائماً يفرد كتباً ودراسات مستقلة عن علم الكلام.

2. كان بعض المستشرقين يخلطون علم الكلام بالفلسفة ليس لعدم علمهم بالفرق بل لأنهم يرون الفرق واهياً مثل: عنوان كتاب فلسفة المتكلّمين للمستشرق الأمريكي هاري ولفسون Harry Austryn Wolfson وللأسف المترجم تعمّد تغيير العنوان الأصليّ الذي كان فلسفة الكلام: The Philosophy of the kalam

وكان هدف المستشرق كما يوضحه في مقدمة كتابه الربط بالتّراث اليهودي والمسيحي من خلال قضايا محورية حددها.

3. مستشرقون آخرون وهم أكثر يرون أنّ نضج علم الكلام كان مع المتأخّرين من علماء الكلام الذين صبغوا علم الكلام بالفلسفة، وهذه المرحلة توقّف عندها الباحثون المسلمون قبل المستشرقين دون أن يصلوا إلى دمج علم الكلام في الفلسفة.

4. من هذه الاختيارات برزت كتابات لمستشرقين يعتبرون بعض الفرق الإسلامية مذاهب فلسفية كالمعتزلة والاسماعيلية، ودائماً اختيارات المستشرقين تنطلق من حزمة من الخلفيات: الدّينية والعلمية والمنهجية والأيدولوجية وغيرها، ممّا يصنع فكر الإنسان عموماً.

5. المستشرقون لم ينكروا ولا يستطيعون ذلك منهجياً (وليس دينياً لعدم إيمانهم بالإسلام دينا سماوياً) الرّبط العضويّ بين كل الفرق الإسلامية أيّاً كان اتجاهها بالقرآن الكريم، لذلك أصرّ هؤلاء المستشرقين على وضع معادلة مرتبكة بين عقل المسلم والقرآن الكريم ليجعلوا الفلاسفة بما فيهم علماء الكلام أحرار التفكير قد يتجاوزون القرآن الكريم بالتأويل وحتى الصّوفية. بالنسبة للمستشرقين يعبرون إلى ضفاف الحرّية بالتفسير الباطني الذي يعتبرونه صورة للحرّية الفكرية. (يفهم منها الالتفاف على الثوابت بالتأويل).

6. لم يتأخر بعض المستشرقين أيضاً في اعتبار مدرسة ابن حنبل وابن تيمية مدرستين كلاميتين وأحياناً فلسفيّة كما فعل هنري لاووست Henri LAOUST من خلال أكثر من مؤلف مستقل عن الشّخصيتين، ومن خلال مباحث عنهما في كتبه الأخرى، بالإضافة إلى شخصيّة من نفس المدرسة عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي.

وأضاف لهذه الشخصيات لاحقاً شخصيّة الشيخ رشيد رضا باعتباره من مدرستهما. هذا جرد أوّلي لكتبه بلغته الأصليّة لعدم التأكد من ترجمتها.

1. Essai sur les doctrines sociales et politiques d'Ibn Taimîya (661/1262-728/1328), Le Caire, IFAO, 1939<sup>7</sup>. (Thèse de doctorat ès-lettres)

2. Le Traité de droit public d'Ibn Taimîya (édition et traduction), Damas, Institut français de Damas, 1952.

3. La profession de foi d'Ibn Batta (édition et traduction), Damas, Institut français du Proche-Orient, 1958

4. Le hanbalisme sous le califat de Bagdad, Paris, Geuthner, 1959.

5. Le hanbalisme sous les Mamlouks bahrides, Paris, Revue des études islamiques, 1960.

6. Le califat dans la doctrine de Rachîd Ridâ, Paris, Maisonneuve, 1986 ) (textes originales de R. R. en fr.)

7. La profession de foi d'Ibn Taymiyya, Paris, Geuthner, 1986

8. Traité sur la Hisba- Al-hisba fi l-islâm d'Ibn Taymiyya (é

7. في التاريخ الإسلامي مخطّات صعبة، كانت الفتنة غالبية فيها وعلماء المسلمين لهم قواعدهم للتعامل معها عقديًا وعلميًا، لكنّ المستشرق يجد ضالته في هذه المخطّات للتّيل من المسلمين أوّلا وللطّعن في الإسلام هدفًا مقدّسا لهم.

### روح عمل المستشرقين:

من خلال عمل المستشرقين في التراث الإسلامي، نجد خيطا مركزيا في كل ثمراته، والدّارس المسلم إذا لم يصل إليه فقد آليات تفكيك الخطاب الاستشراقي، فهم بداية يعملون في بيئة متكاملة:

1. رصد ما هو موجود في المكتبات الاوربية ثم البحث عن المخطوطات في العالم الإسلامي مع تيسير الهيئات الاستعمارية التي استولت على خيرات الدول الإسلامية عبر مؤسساتها العنكبوتية، مع التركيز على ما يفيدهم في فهم عقل المسلم واستبعاد ما يساعد على استعادة حياة المسلمين وقوتهم، فهم يفضّلون الأدب واللّغة على التّفسير والحديث، واهتمامهم بعلم الكلام لارتباطه بأهم ما في الإنسان وهو اعتقاده، لكنّهم يركّزون على اضطراب البحث لا استقامته يعني لا يركزون على إيجابيات علم الكلام ودوره الإيجابي لكن على الانتقادات التي طالته أو السجال الداخلي الكلامي (التكفير المتبادل خصوصا) ويعتبرونه مؤشر على فساد العقيدة الإسلامية.

2. تحقيقه ودراسته ونشره وترجمته إلى اللّغات الأوربية وفيما فعلوه في محور علم الكلام أنّهم كانوا يفضّلون الفرق الهامشية أو توجيه تحليل الفرق الرئيسيّة إلى ما يخدم أفكارهم المسبقة من اعتبار نشأة علم الكلام مرتبطة بعجز القرآن الكريم وعلومه والحديث الشريف وعلومه على تلبية ما تحتاجه العقول والقلوب، وأنّ علم الكلام ما هو إلّا رجع صدى لعلم اللاّهوت اليهوديّ وعلم اللاّهوت المسيحيّ وأن بنية علم الكلام أساسا قامت على المنطق اليوناني.

3. استثمار ما يكتبونه في البيئة الأكاديمية والسياسية فنبليون في حملته على مصر والشام بنى خطابه إلى المسلمين على ما نصح به المستشرقون، فادعى أنه مرسل من الله لتحرير المصريين، وبأنه مسلم وبأن قضاء الله وقدره هما ما جمع المصريين به من أجل رسالة سامية، تحقها بركات الأولياء الصالحين في مصر؛ ومن نقل بعض تفاصيل ذلك عبد الرحمان الجبرتي في موسوعته التاريخية. وهكذا يلاحظ كيف استخدمت مباحث العقيدة وعلم الكلام التي من المؤكد أن المستشرقين اطلعوا على مخطوطاتها لإعطاء شرعية دينية للاستعمار. (قضية فتوى الاستسلام للاستعمار الفرنسي وإدانة ثورة الأمير عبد القادر وما تنقله بعض المراجع عن مؤامرة ليون روش).

4. من الأهمية بمكان التذكير أن كتابات المستشرقين كانت موجهة للمهتمين بالتراث الإسلامي بمختلف لغاته وثقافته من الأوروبيين والغربيين عموماً، ولم يكن أبداً موجهة للمسلمين بدليل اللغات التي كان ينشر بها المستشرقون أبحاثهم، وبمزيد من الدقة كان المهتمون بدراسات المستشرقين حتى في أوروبا يشكّلون دائرة ضيقة، أما من يريد الاطلاع على سحر الشرق وغرائبه فله أدب الرحلة والمغامرات والتقارير الصحفية وأفلام الفانتازيا وغيرها من الأوعية التي يختلط فيها الخيال بالحقيقة، وباعتبار الكنيسة كانت مسيطرة لقرون على الحياة العلمية وكانت أولى قضايا علوم الدين المسيحي اللاهوت وتبرير اللاهوت، فالمستشرقون من خلفية مسيحية مالوا إلى اعتبار علم الكلام الإسلامي نظير علم اللاهوت المسيحي قضايا ومنهجاً ويربط كل هذا أن الإسلام غالباً يُدرّس في أقسام تخصص تاريخ ومقارنة الأديان.

5. مؤلفات المستشرقين باعتبار التخصص الدقيق المتبع في جامعاتهم كان بعضهم يتخصص في مدرسة كلامية واحدة أو حتى فرقة هامشية، وأحياناً يسبغ عليها من التوصيفات الإيجابية والتضخيمية ما يتعارض مع المنهج الموضوعي خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن تلك التوصيفات هي ثمرة قراءة ذاتية جداً أو إسقاطات بعيدة في أحيان كثيرة عن حقيقة المذاهب والاتجاهات المدروسة كاعتبار القرامطة مجموعة متحررة بأبعاد إنسانية.

6. علم الكلام ثمرة تفكير البشر في تفاعلهم مع القرآن الكريم والحديث مصدرا للإسلام وتفاعلهم مع اشكالات التفكير مع الذات ومع الآخر، المختلف في نفس الدائرة الدينية والمختلف الديني الذي يجب ان تشرح له أساسيات الإسلام وتبطل في عقله معتقدات متعارضة مع تلك الأساسيات.

7. كما كان من مهمة علماء الكلام وغيرهم ممن يملك الأدوات المنهجية والعلمية وقبلهما المعرفة الصحيحة بالدين أن يردوا على هجمات المتربّصين ممن ينتقد الإسلام ( أو من يسأل بإلحاح الباحث عن الحق واليقين في قضايا غير مألوفة للمسلم ) لحماية أبناء دينه من الدعوة الإسلامية أو ممن يريد اختراق الأمن الداخلي للمسلمين فيضعفون ويسهل التغلب عليهم. وكان أيضا من مهمة المستشرقين الرد على نقد المسلمين لأديان المستشرقين سواء بتحقيق ونشر ما كتبه خصوم الإسلام هجوما على الإسلام أو ردود المهاجمين على ردود المسلمين .

8. المستشرقون في دراسة البيئة التي رافقت نشأة وتطور وسقوط علم الكلام كانوا يعتمدون على قراءات خاصة اعتمادا على خلفياتهم العلمية والدينية واختياراتهم المنهجية وهم في ذلك بعيدين عن فهم روح المجتمعات الإسلامية وإن أحسنوا استخدام آليات الإحصاء والتحليل المستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية؛ ومن أمثلة الإسقاطات الاستشراقية استخدام مصطلحات من بيئة مسيحية مثلا في توصيف تفرق المذاهب الإسلامية كمصطلح: schismes والمترجمة أحيانا انشقاقا رغم أن الكلمة السائدة في الفضاء الإسلامي بناء على حديث الرسول عليه الصلاة والسلام هي: التفرق.

9. المستشرقون في دراساتهم لعلم الكلام اعتمدوا على مخطوطات حققها بعضهم وترجموها ونشروها فمنهم من يحسن فهم اللغة التي كتب بها علماء الكلام، ومنهم من لم يتجاوز الترجمات على ما فيها من هنات وأخطاء مقصودة أو غير مقصودة، وحتى من استعان بعرب مسلمين أو غير مسلمين يحسنون اللغة العربية ولغة أجنبية لم يكونوا بالضرورة يفهمون مصطلحات وقضايا علم الكلام الدقيقة.

10. تَحْيِزُ المُسْتَشْرِقِينَ لِبَعْضِ تَيَّارَاتٍ أَوْ مَحَاوِرِ التَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ لَيْسَتْ دَائِمًا بِالسَّلْبِ (الرِّبْطُ مَعَ النِّقْطَةِ 5) فَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بِالذَّفَاعِ عَنْهُ وَتَصْوِيرُهُ بِالْمُتَمَيِّزِ، وَأَحْيَانًا الْخَارِقِ لِأَسْبَابِ يَكْتَشِفُهَا الْبَاحِثُ الرَّصِينُ، فَلَمْدَحُ أَوْ الذَّمُّ لَيْسَا مِنْهَجَيْنِ عِلْمِيَيْنِ: مِنَ الْأَمْثَلَةِ: مَدْحُ الْمُسْتَشْرِقَةِ الْأَلْمَانِيَةِ "زِيغَرِيدْ هُونِكِه" Sigrid Hunke لِبَعْضِ مَظَاهِرِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ (وَهِيَ لَا تَقُولُ الْإِسْلَامِيَّةَ) فِي كِتَابِهَا شَمْسُ اللَّهِ تَسْطَعُ عَلَى الْغَرْبِ (عَنْوَانُهُ الْأَصْلِيُّ شَمْسُ اللَّهِ) وَهِيَ أَصْلًا مِنْ خَلْفِيَّةٍ فِكْرِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ فِي تَضَادٍّ تَامٍّ مَعَ رُوحِ الْإِسْلَامِ وَأَسْسِهِ، إِذْ هِيَ مِنْ أَتْبَاعِ الْوُثْنِيَّةِ الْجَدِيدَةِ néopaganisme بِالإِضَافَةِ إِلَى تَوَرُّطِهَا فِي أَطْرُوحَاتِ الْعَنْصَرِيَّةِ الْمُتَطَرِّفَةِ مَعَ النَّازِيَّةِ؛ أَوْ مَحَاوِلَاتِ الْمَفَكَّرِ وَعَالِمِ الْجَمْعِ الْيَهُودِيِّ الْفَرَنْسِيِّ الْمَارْكْسِيِّ مَآكْسِيمِ رُودَنْسُونِ. Maxime Rodinson قِرَاءَةُ الْبَيْئَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قِرَاءَةُ مَارْكْسِيَّةٍ، وَتَأْثِيرُ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ عَلَى فَهْمِ ثَمَارِ الْعَقْلِ الْمُسْلِمِ فِيمَا يَسْمُونَهُ عِلْمَ الْآلِهَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ: عِلْمُ الْكَلَامِ وَكُلُّ الْعُلُومِ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْجَدَلِ وَالتَّفَكُّيرِ فِي عِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِالْوُجُودِ وَاللَّهِ وَرِسَالَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ. وَأَفْكَارُ رُودَنْسُونِ مَوْزَعَةٌ عَلَى عِدَّةِ مَوْلفَاتٍ لَا يَغِيبُ خِيْطُهَا الْمَرْكَزِيُّ عَلَى الْمَدَقِّقِ: خِيْطُ جَعْلِ الْمَادَّةِ السَّبَبَ الرَّئِيسِيَّ لِأَيِّ تَغْيِيرٍ وَإِنْ كَانَ تَغْيِيرًا فِي الْمَعْتَقَدَاتِ. وَمِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ: الْإِسْلَامُ وَالرَّأْسْمَالِيَّةُ وَالْمَارْكْسِيَّةُ -وَالْعَالَمُ الْإِسْلَامِي- وَالْإِسْلَامُ: سِيَاسَةٌ وَمَعْتَقَدَاتٌ، وَغَيْرُهَا مِنْ الْعُنَاوِينَ بِاللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ أَسَاسًا، وَلَمْ يَكُنْ يَتَوَانَى عَنْ جَعْلِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ رَجْعَ صَدَى لِبَعْضِ الْمَعْتَقَدَاتِ السَّابِقَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ .

وَسَوْفَ نَجِدُ الْخِيْطَ الْمَارْكْسِيَّ فِي قِرَاءَةِ الْآلِهَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ: أَيُّ عِلْمِ الْكَلَامِ وَعِلْمِ أَصُولِ الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ وَمَا يَنْظُرُهُ مِنْ عِلُومِ الْجَدَلِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ فِي بَيْئَتِهِ لَدَى الْمَفَكَّرِ وَالْأَكَادِمِيِّ الشَّيْعِيِّ اللَّبْنَانِيِّ حُسَيْنِ مَرْوَةِ خُصُوصًا كِتَابَهُ: النَّزْعَاتُ الْمَادِيَّةُ فِي الْفَلَسَفَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ: (جُزْءَان) وَدِرَاسَاتُ فِي الْإِسْلَامِ (مَعَ آخَرِينَ).

عينات من أطروحات وفرضيات المستشرقين حول مفاسل علم الكلام:

### 1. عينة كتاب: هنري كوربان Henry COURBIN:

بالتعاون مع السيد حسين نصر وعثمان يحيى: تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد، ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، وراجعها الإمام موسى الصدر والأمير عارف تانر، منشورات عويدات، 1966.

سيتم اختيار منهج العرض التكاملي للأفكار، لأن هذا المستشرق كما غيره من المستشرقين توافقت اختياراته المنهجية والعلمية إزاء التراث الإسلامي مع مهمات سياسية له مع ثقل الكلمة في العلاقات الدولية، وسيلاحظ أنّ العلم هو الذي كان في خدمة السياسة، وتحيز هذا المستشرق لاتجاه إسلامي بعينه داخل في حسابات دقيقة في تحالف سياسي والديني. (ربما اقامة الحميني في فرنسا نافذة للفهم وما كتبه فوكو عن الثورة الإيرانية وسط ذهول متابعيه).

1.1. يلاحظ بداية كل هذه الأسماء العربية والإسلامية المحيطة بالكتاب تأليفا وترجمة، والغالب أنّها أسماء شيعية.

2.1 المستشرق عاش من 1903 إلى 1978. ولد في أسرة بروتستانتية فرنسية وأتقن عدة لغات منها اللاتينية والألمانية والروسية.

3.1 درس الفلسفة في السوربون، وتعلّم اللغة العربية والفارسية القديمة والحديثة، وكان من المواظبين على حضور دروس " لويس ماسينيون " الذي وجهه لدراسة السهروردي وقطب الدين الرازي وصدر الدين الشيرازي وعموم الفلسفة وعلم الكلام الفارسيين

4.1 تخصص في الفلسفة وعلم الكلام والفرق والتصوّف في الإسلام، وشكّل جسرا ومعبرا هاما في العلاقات الفرنسية الإيرانية.

5.1 قدّم التصوّف الشيعي كعلم لاهوت إسلامي متميّز، يعبر حسب رأيه عن الروح الحقيقية للإسلام التي تتوافق مع روح اليهودية والمسيحية.

6.1 وهو يقول الجملة الخطيرة: " روح القرآن وجسد المسيح "

" l'âme du Coran et le corps du Christ "

7.1 عبد الرحمان بدوي في موسوعته يرى أن هذا المستشرق له نزعة ثيوصوفية اشرافية يميل إلى الوجدان والتجربة الصوفية والتيوصوفية - من أخطر الحركات التي تدعو إلى وحدة الأديان ضمن مسار عالمي ساحب لبعض الطيبين -.

8.1 عمل بعد تخرجه في مؤسسة هامة هي المكتبة الوطنية، وبدأ التعمق في الجدل الديني المسيحي ضمن دراسة عن اللاهوت البروتستانتي وبالضبط طرق التفسير الكتابي عند أتباع "لوثر"، كما نشر دراسة عن منهج "كارل بارث" اللاهوتي الألماني البروتستانتي المعاصر (الرافض لأي اعتراف بتنوع أو تعدد الحقيقة والحق خارج المسيحية الرافض لانفتاح الكنيسة على الآخر) وعند تحليل جزئيات محورية في دراساته نجد صدى هذا التكوين الأول للمستشرق.

9.1 أرسلته بلاده عام 1939م إلى استنبول في مهمة فأقام في مبنى البعثة الأثرية الفرنسية باستانبول طوال ست سنوات، درس فيها مخطوطات السهروردي ومخطوطات أخرى نشر ثمراتها لاحقا تحقيقا وترجمة. يلاحظ أسبقية المستشرقين إلى الوصول إلى خزانات المخطوطات بتنظيم محكم من الدوائر الاستعمارية.

10.1 في 1954م أنشأت فرنسا معهد الدراسات الإيرانية وعيّنت "كوربان" مشرفا عليه إلى سنة 1958م وأثناء ذلك أنشأ "كوربان" المكتبة الإيرانية حيث نشرت عدة دراسات وكتب تحقيقا ودراسة ونقدا وترجمة من الفارسية إلى الفرنسية.

11.1 عندما تقاعد ماسينون في المدرسة العملية للدراسات العليا الملحقه بالسوربون خلفه "هنري كوربون" الذي جمع أيضا بين هذا المنصب ومنصب مدير معهد الإيرانية في طهران.

12.1 مادامت النزعة الثيوصوفية العرفانية الموغلة في الأسرار والتهاويل هي الموجهة لفكر "كوربان"، فقد كان من الطبيعي أن يُعنى أيضا بالمذاهب الإسماعيلية لاتصاله بهذه النزعة، فنشر وترجم ثلاثة كتب إسماعيلية: كتاب الينابيع لأبي يعقوب السجستاني، ورسالة المبدأ والمعاد لسيد(نا) الحسين بن علي، وبعض تأويلات جلشن راز لمحمود شبستري، كما نشر

نصوصا أخرى تحت عنوان: الأرض السماوية وأجسام البعث، وطبع ثانية تحت عنوان: الجسم الروحي والأرض سنة 1979م. يلاحظ التقاطع بين هذه المؤلفات وعلم الكلام بوجهه: جليل الكلام ودقيق الكلام.

13.1 يقول عبد الرحمان بدوي: كتب كورين فضلا في تاريخ الفلسفة الإسلامية ضمن تاريخ الفلسفة الذي صدر في مجموعة la pleiade وهذا الفصل طبع أيضا على حدة كتابا مستقلا في مجموعة أفكار idées، وفي هذا الكتاب مبالغة شديدة في إبراز نصيب الفكر الشيعي وأجحف بالفكر السيّ اححافا غريبًا.

<https://www.amiscorbin.com/bibliographie/>

[https://data.bnf.fr/11897644/henry\\_corbin/#studies\\_about](https://data.bnf.fr/11897644/henry_corbin/#studies_about)

14.1. عند الاطلاع على بعض ما كتبه "هنري كورين" باللغتين، يمكن القول أنّه قدّم التّصوّف الشّيعي كعلم لاهوت إسلامي (علم كلام) متميّز، يعبّر حسب رأيه عن الرّوح الحقيقيّة للإسلام، التي تتوافق مع روح الديانتين: اليهوديّة والمسيحيّة (مربط فرس الاستشراق والتّيوصوفيا).

15.1 . يقول في كتابه: ص. 169: " يكاد يكون من المستحيل أن تُبيّن التطوّر الذي مرّت به كلمة الكلام حتى انتهت إلى ما تعنيه الآن من علم الالهيات في الإسلام، وكذلك كلمة المتكلّمون وهي تعني علماء اللاهوت... علم الكلام هو اللاهوت المدرسي: theologie scolastique

في الإسلام ينتهي به الأمر إلى أن يصبح اسما لمدرسة فلسفيّة تقول بمبدأ الدّرة، وتذكّرنا بفلسفة "ديموقريطس" و "ايقورس" في الوقت الذي تختلف في مجمل مضمونها عن هاتين الفلسفتين... يتّصف علم الكلام وهو الفلسفة المدرسيّة في الإسلام بأنه جدل عقليّ صرف، يتناول المفاهيم اللاهوتية، فهو لا يتطرق إلى البحث في العرفان الصّوفي ولا في علم القلب الذي كان الأئمة الشيعة أوّل من تحدّث عنه " (القراءة المتحيّزة للوصول الى الهدف المحدد مسبقا).

16.1. وفي ص. 174: " كما كان المعتزلة متنبهين لبعض الأفكار اليهودية والمسيحية والالتقاء حول هذه الأمور، يمكنه أن يتعلّق باللاهوت الديني والأخلاقي، كما يتعلّق مفهوم الإسلام نفسه بشخص مؤسّسه، ويمكننا أن نعتبر بحق أنّ نظرة المعتزلة للتوحيد تعلّل جزئياً بأنّها ردّة فعل في وجه بعض مظاهر التثليث في العقيدة المسيحية، فالمعتزلة ينفون عن الجوهر الإلهي كل صفة، وهم ينفون عن الصفات كل حقيقة إيجابية متميّزة عن الجوهر الواحد، ذلك أنّهم إذا أثبتوا عكس ذلك وجدوا أنفسهم على حدّ قولهم أمام الوهية ليس فقط مثلثة، ولكن متعدّدة، إذ لا حدود لعدد الصفات الإلهية، كما يمكن أن يعتبر تأكيدهم على خلق القرآن كمعارضة لسرّ التجسّد في العقيدة المسيحية؛ فالقول بأنّ القرآن هو كلام الله القديم الذي ظهر في الزمان على شكل حديث باللّغة العربيّة لما يتفق مع زعم الصّاري بسرّ التجسّد القائل بأنّ المسيح هو كلمة الله القديمة التي ظهرت في الزمان بشكل إنسان بشري ١.هـ

كل هذا لنفي الأصالة عن علم الكلام واعتباره عالة على الفكرين اليهودي والمسيحي.

17.1 وفي ص. 187: " لم يوجّه الأشعريّ جلّ اهتمامه في كافّة الحلول التي تقدّم بها نحو القضايا العقلية والنظرية بقدر ما كان يوجّه اهتمامه نحو القضايا الروحية والدينية، فقد كان جلّ همّه أن يعطي معنى للإيمان بالله لم يكن من العبث وصفه بتلك الصفات التي وردت في القرآن، إذ ليس من الممكن فصل الصفات عن الذات، فالله جوهر وصفة معاً، وهذا ممّا يفسح المجال أمام المؤمن ليكون الله بالنسبة إليه موضوع محبة وتعبد وإجلال، وسواء كان الجهد الذي قام به الأشعريّ ناجحاً أو فاشلاً (نظرا لغياب الأدلة الميتافيزيقية الكافية في بنيانه الفلسفي) فإنّ ما كان يرمي إليه الأشعريّ بكلّ نزاهة وتجرد هو إقامة الدليل على تلازم هاتين الصفتين قدم القرآن وحدوثه ذلك التلازم الخفيّ العجيب بين الخلود والفناء ١.هـ

الملاحظات حول الفقرات المختارة لآراء المستشرق "هنري كوربين" أنّه يحلّل الأفكار المتداولة في مدونات علم الكلام باعتبارها نتاج عقل عنده مشكل مع القرآن الكريم الذي لم يجب عن كل أسئلة العقل وأشواق الرّوح، فراح علماء الكلام يبحثون عن مشارب أخرى يروون منها عطشهم للحكمة والسكينة، ورغم أنّ تاريخ علم الكلام لم يكن معصوماً من أخطاء في

الاجتهادات استفاد منها المستشرقون، إلّا أنّ آليات المراجعات والنقد الدّاتي، أعطت لتاريخ علم الكلام عند المسلمين آفاقا استوعبت حتى من تطرف في التقديس أو تطرف في الذّم.

**2- عينة كتاب جوزيف فان آس Josef VAN ESS : علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة في جزئين.**

1.2. وهذا العنوان يجلب الدّارسين لأنّه يغري بتفرد إشكاليّته، ولكن بعد الاطلاع على محتوى الكتاب بجزئيه تبين أنّ هناك أخطاء فادحة جدّا في التّرجمة في الجزء الأوّل، خصوصا حتى أنّ هناك مصطلحات وأسماء أعلام وعناوين كتب غير موجودة لا في المعاجم ولا في تاريخ المؤلّفات الإسلاميّة.

"جوزيف فان آس": علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة: ترجمة ج1 سلمة صالح منشورات الجمل، ج.2 ترجمة: محي الدين جمال بدر ورضا حامد قطب، ومراجعة وتقديم محسن الدردماش.

2.2. لابد من التذكير أنّ اختيارات المستشرقين ليست دائما حرّة، قد يخضع لإكراهات في دائرته الأكاديمية أو لدى الناشر وحتى المترجم والدار التي ستنتشر التّرجمة ممكن أن يطلبوا تعديلات في العنوان والنّص الأصليين.

3.2. ومن أجل الأخطاء الفادحة في ترجمة الكتاب، من الخطأ الادعاء معرفة أفكار المستشرق في القضايا المفصليّة لعلم الكلام بالدقّة التي أوردها هو.

4.2. الذي يهمّ هنا من سيرته الدّاتية ما هو موجود في كلّ المراجع التي تتناول تراثه، فهو ولد في مدينة "آخن" في المانيا عام 1934م ودرس في عدّة جامعات ألمانيّة اللّغات العربيّة والفارسيّة والتركية لتساعده في تخصّصه في التّراث الإسلاميّ، وبدأ ذلك برسالته للدكتوراه حول الحارث بن أسد المحاسبي المتصوّف، ودكتوراه في تاريخ علم الكلام في النّصف الأوّل من القرن الثالث الهجري التّاسع الميلادي.

5.2. تنقل مدرّسا بين عدّة جامعات في أوروبا وأمريكا والعالم الإسلامي.

6.2. وكعادة كبار المستشرقين: عاد إلى بلده ليعمل أستاذ كرسي ثم رئيسا في مركز الدراسات الإسلامية والسّامية.

هذا المستشرق الألماني "جوزيف آس" يقدمه المستشرق الفرنسي ورجل الدين الدومينيكاني (المهتم بالتفسير وعلم الكلام، صاحب البحوث ذات الخلفيّة المتشابكة بالأنجلا ككتابه عن تفسير الطبري)... "كلود جيو" Claude GILLIOT أثناء استضافته أستاذا في "الكوليج دو فرانس" على أنّه من كبار المتخصّصين في اللاهوت الإسلاميّ والتاريخ الفكريّ العقدي في الإسلام .

7.2. أهمّ كتاب له يعدّه البعض موسوعة لعلم الكلام الإسلامي، جاء بنفس عنوان أطروحته للدكتوراه.

8.2. كتاب "جوزيف آس" الأصلي في 4000 صفحة في لغته الأصليّة، طبع في عدّة مجلّدات، سمّاه البعض موسوعة علم الكلام الإسلاميّ، صدرت المجلّدات على امتداد ستّ سنوات ولم يترجم منها إلى العربيّة إلا جزئين.

9.2. بعد الاعتكاف على الجزئين من الكتاب المترجمين إلى اللّغة العربيّة لمُدّة تقارب الشّهر قراءة وتتبعاً للتّفاصيل يمكن القول:

1.9.2. ترجمة رديئة جدا خصوصا الجزء الأوّل وتشتّت أفكار، ومصطلحات خاطئة، ومصطلحات غير معروفة، وارتباك في كتابة عناوين بعض الكتب وأسماء بعض الأعلام.

2.9.2. تعليقات المستشرق على آراء مستشرقين آخرين لا يفهم إن كان للمترجم دور فيها أو في اختصارها .

3.9.2. ما يبدو ارتباك في خطّة الكتاب مرتبط بالأجزاء غير المترجمة، ولا نعرف موقع هذين الجزئين من الكتاب بكل أجزائه وكيف تم اختيار الجزئين ؟

4.9.2 ترجمة الكتاب جاءت كأنها بطاقات ملصقة لأسماء أعلام مسلمين تم حشرها في الكتاب في شبه تسلسل تاريخي، أو كأنها ورقات جمعت من أجل التفرغ لقراءتها بعمق وفهمها، ومن ثمّ توظيفها في كتابة منسّقة، ولا يشفع وجود إحالات لأنّ في بطاقات جمع المادة يفعل ذلك كل الباحثين.

5.9.2 الأعلام والشخصيات والأحداث المذكورة ليست بالضرورة مهمّة في تاريخ علم الكلام.

6.9.2 الترجمة الرديئة لم تفهم أنّ علماء القانون هم الفقهاء، وأنّ القانون هو الشريعة وأنّ الحديثون؟؟! هم علماء الحديث، ثم ما معنى الهيدروغرافيون الموجودة في عدّة صفحات من الكتاب، ما معنى أدب المركبة.

7.9.2 المعروف عن تراث المستشرقين أنّ اللاحق يكتب اعتمادا على جهود السابقين، ثم يشق طريقه في اجتهاداته الخاصة بعد استيعاب وتحليل ونقد ثمار اجتهادات السابقين، لذلك يجب أن يفكّك الكتاب في بيئته كما يجب التّحقّق من المعلومات التي يجب أيضا فصلها عن التّوظيف الاستشراقي.

8.9.2. الخلفية المسيحيّة وحتى اليهوديّة باعتبار وحدة المرجعيّة للعهد القديم (التناخ لليهود) تجعل المترجم إلى العربيّة حتى وإن كان ملما بتاريخ علم الكلام -وهو للأسف غير موجود لدى مترجمي هذا الكتاب - فهو يحتاج إلى معرفة بتاريخ الفكر الديني اليهودي والمسيحي وهذا نادرا ما يتوقّر لدى العاملين بمجال علم الكلام في العالم الإسلامي.

9.9.2. المستشرقون لا يفرّقون في دراساتهم للإسلام بين مختلف علومه لأنهم أدركوا التداخل بينها، وغالبا ما يكون تخصّصهم في علم بعينه كعلم الكلام تخصّصا إجرائيا فقط، أمّا جذور وثمار التخصّص فهي متشعبة متداخلة كما هو حال العلوم الإسلامية الأساسيّة.

10.9.2. القراءة الاستثمارية للكتاب بعد ضمان الصّحة في الترجمة:

1.10.9.2 مراجعة الترجمة لغة واصطلاحا ومعلومات تاريخيّة من متخصّصين في اللّغتين

وفي علم الكلام.

2.10.9.2 إنشاء فهارس أعلام مسلمين

3.10.9.2 إنشاء فهارس مستشرقين

4.10.9.2 إنشاء فهارس كتب ومخطوطات إسلامية

5.10.9.2 إنشاء فهارس كتب ومخطوطات غير إسلامية مذكورة والأطاريح.

6.10.9.2 إنشاء فهارس فرق

7.10.9.2 إنشاء فهارس مدن

8.10.9.2 وغيرها من الفهارس التي ستسمح برسم خرائط موضوعانية للكتاب

للتمكن من التعليق على الجزئيات ونقدها.

10.2 يمكن ايجاز أهمّ مباحث الكتاب علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث

للهجرة في:

1.10.2 علم الكلام من حيث محتواه الذاتي أي تركيبه من خلال عناصره الذاتية

2.10.2 ربط علم الكلام بالبيئة التاريخية التي نشأ وتطوّر فيها

3.10.2 ربط علم الكلام بالعناصر الحضارية التي نشأ وتطوّر فيها

4.10.2 أهم خصائص المذاهب الكلامية في الإسلام وتوزيعها إلى فرق منبثقة عن

المدارس الكبرى: مثل المعتزلة والإسماعيلية والأمامية والإباضية والخوارج، مع التنبيه إلى أنّ

اختيار العينات ليس حياديًا.

5.10.2 محاور القضايا الكلامية الكبرى، وهنا أيضا الاختيار في إعطاء الأهمية لمحاور

بعينها ليس حياديًا وأهم هذه القضايا:

1.5.10.2 الصفات الإلهية .

2.5.10.2 التكليف والحرية.

3.5.10.2. مكانة العقل في الاجتهاد الكلامي وعلاقة ذلك بمحورية نصّ القرآن

الكريم.

4.5.10.2. أهمّ الشخصيات التي نسجت أفكارها في منظومات متناسقة ستحوّل

إلى مدارس أساسية أو فرعية.

5.5.10.2. تفاعل علماء الكلام مع الأحداث المهمة في التاريخ السياسي.

6.5.10.2. تفاعل علماء الكلام مع الأحداث المهمة في التاريخ الديني الإسلامي وما

يحيط به في الثقافات الأخرى القديمة أو المعاصرة.

7.5.10.2. تفاعل علماء الكلام مع الأحداث المهمة في التاريخ والواقع الاجتماعيين.

11.2. يمكن بعد القراءة العسيرة (لخية الترجمة وهي هنا فعلا خيانة كما يقول المثل

الاطالي ) للكتاب الاستنتاج:

1.11.2. الرّبط بين علم الكلام والبيئة كان أكثر وضوحا في كتابات المستشرقين الألمان،

الذي يعدّ "فان وس" أحدهم، ولذلك علاقتة بالتربية الفكرية التي أنتجت الحركة البروتستانتية

التي انتفضت على فساد رجال الدين وعلى رأسهم البابا، وكانت صكوك الغفران معركة من

معارك المذهب الجديد (لم تكن البروتستانتية اصلاحا للمسيحية كما يتم تداوله بل احتجاج على

بعض التصرفات الهامشية)

2.11.2. كما أنّ الحركة الماركسية ارتبطت بكارل ماركس الألماني الذي جعل المادة أساس

كل تغيير تاريخي، ولعلّ المثال الأعمق في تأثير البيئة الفكرية الألمانية على ذلك الاختيار

المنهجي هو "ماكس فير" عالم الاجتماع الذي ربط الرأسمالية بالبروتستانتية وخصوصا فرعها

الكالفيني.

3.11.2. "جوزيف فان آس" Josef van Ess إذن لم يخترع منهجا بل استفاد ممّا كان

متداولاً في محيطه الأكاديمي والعلمي وأراد اسقاطه على مقارباته لإشكاليات علم الكلام

الإسلامي، ولكن الملاحظ أنّه كان يتسرّع في انتقاء الأحداث ثم يحلّلها باعتبارها الحقيقة.

## الخاتمة:

المستشرقون جمعوا ودرسوا وفسروا مضامين المدونات الكلامية وفق اختيارات في الجمع وفي المناهج.

قرأ المستشرقون التراث وحلّوه ونشروا مخرجات ذلك للتداول العام ليتلقفه الساسة وغيرهم ممّن ناصب المسلمين العداء، فالمستشرق "برنارد لويس" قال بعد 11 سبتمبر أنّ المسلمين يكرهون الغرب لأنّ دينهم يأمرهم في قرآنه بمحاربتهم، وهذا المستشرق ممّن كتب عن الحشاشين ووصفهم بما يخدم أطروحاته.

المسلم اليوم أمام ورشة كبيرة مفتوحة، عليه أن يعمل فيها بعقل متوازن يبحث عمّا هو موجود في تراث المستشرقين حول علم الكلام من اختيارات يراجعها ويحلّلها ويستنتج ويستثمر ما يفيد ويغيد دينه.

أحيانا الإنسان ليفهم نفسه أكثر يولّي انتباهه أيضا لانعكاس صورته وفكره عند الخصم، هو ما قام به بعض الباحثين من خلال مداخل متنوعة مثل:

تتبع مباحث في علم الكلام والعقيدة وكيف تمّت دارستها في الفضاء الاستشراقي: كالقضاء والقدر واليوم الآخر.

وهناك من اختار دراسة كتابات المستشرقين حول مدرسة كلامية بعينها.

وهناك من اختار دراسة كتابات المستشرقين حول شخصية من أعلام علم الكلام

وهناك من كانت بحوثه حول الاستشراق وعلم الكلام ضمنيا في بحوثهم حول مفاسل أخرى من الفكر الإسلامي كعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف وغيرها.

المكتبات في العالم الإسلامي اليوم تشهد ترجمات لكتابات مستشرقين أحياء يكتبون بدقّة وأعمال عميق لمشارط التحليل، ومن يترجم لم يفعل ذلك عبثاً، كما أنّ دراسة ونقد هذه الكتب المترجمة لا يبدو ترفياً بل أقرب إلى التحفيز على المتابعة، فهل يعني هذا حاجة المسلمين لكتابات المستشرقين اليوم أيضاً؟ وهل يعني هذا كذلك أنّه وخلافاً لما تنبأ به البعض من نهاية الاستشراق التقليدي الذي قام على جهود مستشرقين من طراز فريد في تعلّم اللغة العربيّة واللّغات الإسلامية والبحث عن المخطوطات الأساسيّة ودراسات الموضوعات المعقّدة؟.

هذا النوع من الأسئلة لا يحبّ التسرّع في الإجابة عنها فهي أسئلة أقرب إلى عناوين إشكاليات لبحوث رصينة.

### قائمة المصادر والمراجع:

- ملاحظات ضرورية في سياق تتبع كتابات المستشرقين حول علم الكلام:
1. تداخل محاور الفكر الاسلامي في أغلب كتاباتهم ففي كتاب عن الفقه يتم التطرق الى التصوف دون أن يعني هذا عدم وجود كتب مستقلة يغلب علي مباحثها محور من الفكر الاسلامي.
  2. في الترجمات الى اللغة العربية هناك أخطاء في ترجمة أسماء الأعلام والكتب والمواقع وعدم توحيدها وهناك أيضا أخطاء عدم المتخصصين وهناك تحفظ البعض من الجمل والكلمات الطاعنة في مقدسات المسلمين التي يغيرها بعض المترجمين لما لا يتوافق مع فكر المؤلف الأصلي فتتشوه الترجمة ويتعثر الفهم الصحيح من أجل الرد الصحيح وأكثر الكتابات أهمية لتبيان مواقف المستشرقين هي باللغة الألمانية والإنجليزية وهي غير متاحة في طبعاتها الاصلية.
  3. المقالات والدراسات حول كتابات المستشرقين بين المسلمين حول علم الكلام مازالت لم تكن مادة رصينة يمكن الرجوع اليها خصوصا مع استسهال البعض في الرؤى المتسرعة والسطحية.
- أبو حامد الغزالي: الحام العوام عن علم الكلام، دار المنهاج، بيروت-لبنان، 2017م/1439هـ.
- عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1988م
- علي بن ابراهيم الحمد النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، مكتبة التوبة، الرياض، 1418م/1998هـ.
- عبد العظيم محمود الديب: المستشرقون والتراث، دار الوفاء، المنصورة-مصر، 1992م
- زيغريد هونكه شمس العرب تسطع على الغرب. نقله الى العربية فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة وحواشي مارون عيسى الخوري، دار الجيل - ودار الافاق الجديدة، بيروت- لبنان، 1993م.
- هنري كوربان Henry COURBIN بالتعاون مع السيد حسين نصر وعثمان يحيى: تاريخ الفلسفة الاسلامية منذ النبايع حتى وفاة ابن رشد، ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي وراجعه الإمام موسى الصدر والأمير عارف تانر، منشورات عويدات، بيروت-لبنان، 1998م.
- جوزيف فان آس Josef VAN ESS: علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، 2ج، ج1 ترجمة: سالمه صالح، دار الجمل، بغداد-بيروت، 2008م.
- ج2 ترجمة محي الدين جمال بدر ورضا حامد قطب، مراجعة وتقديم محسن الدمرداش، منشورات الجمل، بيروت-لبنان، بغداد-العراق، 2016م.
- حيدر قاسم مطر التميمي: المستشرقون ومصادر علم الكلام بين التحقيق والنشر والترجمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021م
- ماكدونالد دانكن بلاك: تطور الدولة والفقه والكلام في الإسلام، مركز نماء للبحوث، بيروت-لبنان، 2018م
- Josef VAN ESS: Les Prémices de la théologie musulmane, Éditions, Albin Michel, Paris, 2002.